



Volume 7, Issue 8, August 2020, p. 237-256

İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: Research Article

This article was checked by iThenticate.

Doi Number :<http://dx.doi.org/10.17121/ressjournal.2772>

Article History:

Received

08/07/2020

Received in revised form

27/07/2020

Available online

15/08/2020

KINETIC IMAGING IN QURANIC DISCOURSE – MATERIAL (ASCENSION) AS AN EXAMPLE. AN AUDIO STUDY

Kurdia Ahmed HASSAN¹

Abstract

This research is an attempt on (Kinetic Imaging in the Quranic Discourse) which is one of the most recent linguistic investigations, which deals with the phonetic aspect from a psychological perspective, an applied study on the verses in which the (verse) (ascend) indicating movement in the Holy Qur'an was mentioned; therefore, we seek in this research to clarify the kinetic indications through the linguistic voice and their line to the meaning of the verses, their various contexts, and to meditate on the interpretation of the verses of the Holy Quran phonetically. As the linguistic sound characterized by certain accented and stylistic characteristics within the structure of the formation of the word, it gives a kinetic and pictorial features that give the meaning a suggestion, increases its beauty through the clear harmony between it and the first formative structures of the word within the context and significance of the event, which ultimately reveals the beauty of the pictorial voice and its movement in the Quranic discourse, then it apparent effect on the recipient and attract attention to reach the depths of the text, and then to its hidden significance, in monitoring the movement in the Holy Quranic imaging. We rely on highlighting the realm of the movement and the manifestations of its presence in the noble Quranic discourse and the relationship between the nature of the sounds included in the structure of the material chosen for the study, and the presence of the ascending movement in it.

Keywords: Kinetic Imaging, Sound and Movement, Ascending Movement, Linguistic Dimension of Pictorial Movement.

¹ Dr. , Sulaimani University, Iraq, kurdia.hassan@univsul.edu.iq

التصوير الحركي في الخطاب القرآني مادة (صَعَدَ) أنموذجاً دراسة صوتية

كردية أحمد حسن²

الملخص

هذا البحث محاولة بشأن (التصوير الحركي في الخطاب القرآني) الذي يعدّ من أحدث المباحث اللسانية، والذي يهتم بالجانب الصوتي من المنظور النفسي، وهي دراسة تطبيقية على الآيات التي وردت فيها مادة (صَعَدَ) الدالة على الحركة في القرآن الكريم؛ لذا نسعى في هذا البحث إلى استجلاء الدلالات الحركية بوساطة الصوت اللغوي وربطها بمعنى الآيات وسياقاتها المختلفة، والتأمل في تفسير الآيات القرآنية الكريمة تفسيراً صوتياً.

إذ إنّ إِتسام الصوت اللغوي بخصائص نطقية، وأسلوبية معينة داخل بنية تشكيل الكلمة تكسبه سمات حركية وتصويرية تضيف على المعنى إيحاءً، وتزيده جمالاً من خلال الانسجام الواضح بينه، وبين البنى التكوينية الأولى للكلمة داخل السياق ودلالة الحدث، الذي تفضي في الأخير إلى كشف جمال التصوير الصوتي وحركته في الخطاب القرآني، ومن ثمّ تأثيره الواضح في المتلقي وجذب انتباهه ليصل بذلك إلى أعماق النص، ومن ثمّ إلى دلالاته الخفية، وفي رصد الحركة في التصوير القرآني الكريم فإننا نرتكن إلى إبراز عالم (الحركة) ومظاهر حضورها في الخطاب القرآني الكريم، ووجه العلاقة بين طبيعة الأصوات الداخلة في بنية تشكيل المادة المختارة للدراسة، وحضور الحركة الصاعدة فيها.

الكلمات المفتاحية: التصوير الحركي، الصوت والحركة، الحركة الصاعدة، البعد اللغوي للحركة التصويرية.

²الدكتورة، جامعة السليمانية، العراق، kurdia.hassan@univsul.edu.iq

المقدمة:

يوظف الصوت اللغوي المفرد في القرآن الكريم داخل بنية تشكيل الكلمة لخدمة الدلالة أي التناسب بين إحياء الصوت، والدلالة المقصودة، ولا بُدَّ من الإشارة إلى أن لتكثيف الأصوات، ولاسيما المصوتات منها في سياق معين أثر في محاكاة الدلالة والإحياء استناداً إلى أن لبعض الأصوات طاقة إحيائية نتيجة لتداعيات لأشعورية في معظم الأحيان(1)، انطلاقاً من فكرة أن الأصوات اللغوية كانت في الأصل مستمدة من الطبيعة، والأحداث، والمشاعر الإنسانية، وأنها ما تزال تحتفظ بظل من هذه العلاقة في الذاكرة اللغوية والوعي الجمالي(2).

إذ ليست ألفاظ القرآن الكريم مجموعة أصوات تدل على المعنى فحسب، بل هي ك (صورة حيّة تمرّ بخيال القاري، أو السامع، ويلمسها إحساسه، وتكاد تراها عينه)(3)، أي ينبوع يفيض بالصور، والأحاسيس.

وإذا ما رُمنا التحدث عن التصوير في القرآن الكريم، فإنّه يتدرج في مظاهر متعددة، وبوسائل مختلفة ومن هذه المظاهر تحويل الصور من شكل صامت إلى منظر متحرك حيّ، وبما أن التصوير يجري في مجال اللغة بين مكوناتها المتنوعة، ومستوياتها المختلفة، فإنّ الإحاطة بهذه الجوانب بحاجة إلى دراسات مستفيضة لها، وأنّ المنحى الصوتي قد استأثر باهتمامنا لأنّه ميدان بكر، وإطار تتجلى فيه الجوانب النفسية، ولحدائث هذا الميدان اللساني الصوتي هدفت الدراسة إلى دراسة نماذج من صور التعبير بالحركة في القرآن الكريم بغرض الكشف عن جمال التصوير الحركي في القرآن الكريم بناءً على أنّ الدرس الصوتي وفق اللسانيات النفسية في القرآن الكريم، ولاسيما دراسة تصوير الحركة في الأفعال الدالة على الحركة الانتقالية الرأسية، والمتجهة إلى الأعلى يُساعد على الكشف عن المعاني الغائية، وخلق الأجواء النفسية لدى المخاطب استكشافاً للمعنى وإستجلائه، وذلك لأن الأفعال الثابتة تتعدم فيها الدينامية إلى حد كبير، وبغية استكشاف الدلالات المغايرة وإزالة الستار عن مدى فاعلية اللسانيات النفسية في التصوير الصوتي للمفردة في القرآن الكريم.

والهدف من وراء هذا البحث في مجمله هو بيان مدى فاعلية هذا النوع من الأفعال في استجلاء الدلالات المختلفة والآثار التي تتركها التعددية الدلالية في نفسية المتلقي وتكمن أهمية هذا البحث في محاولته الإجابة عن مجموعة أسئلة وأهمها هي:

- ما مدى فاعلية اللسانيات النفسية في الكشف عن الدلالات، أو المعاني الغائية لأفعال الحركة في القرآن الكريم، ولاسيما في مادّة (صَعَدَ) أنموذجاً؟

- ما هي الآثار التي تتركها التعددية الدلالية في بسط معاني (صَعَدَ) في القرآني الكريم؟

- كيف تؤثر التصوير والحركة في فهم معاني مادّة (صَعَدَ) ودلالاتها المختلفة كمؤشر فعلي؟

فسار البحث على مبحثين، يتضمن المبحث الأول شرح التصوير الحركي، والصوت اللغوي وأثره في بناء الحركة، ومن ثمّ بيان ملامح أصوات مادّة (صَعَدَ) موضعاً دورها في تصوير الحركة والمبحث الثاني يوضح هذه التنظيرات بنقلها إلى حيز التطبيق والتحليل في ضوء دراسة تطبيقية وصفية وفق قراءة (حفص بن عاصم) وبتلاوة (محمد صديق المنشاوي) في الآيات التي وردت فيها مادّة (صَعَدَ) الدالة على الحركة والتصوير، وختم البحث بنتائج الدراسة التي أفصحت عن التصوير الحركي في تلك الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها اللفظة المختارة.

(1) ينظر: النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل: 314.

(2) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز: 237.

(3) من روائع القرآن، البوطي: 199.

المبحث الأول: التصوير الحركي

يُعدّ التصوير بالحركة طريقاً من طرق الإبانة، والتعبير عن المعنى و"هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن الكريم"(4).

على وفق ذلك يجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاقه في القرآن الكريم، فهو تصوير حيّ، وتصوير باللون، وتصوير بالحركة، وبالتخييل كما أنّه تصوير بالنعمة، فضلاً عن ذلك كثيراً ما يشترك جرس الكلمات المتمثلة بـ (الصوامت، والمصوّتات)، ونغم العبارات بواسطة المقطع ونوعه من حيث جذب النغمة، أو النبر، في إظهار صورة من الصور، تتملأها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر، والوجدان(5).

فالتعبير القرآني يتبع طريقة الصورة والحركة في التصوير؛ لأنّ هذه الطريقة تطلق الشحنة الكاملة في التعبير كما لو كان هذا التعبير يطلق للمرة الأولى مصاحباً للواقعة الحسيّة التي يعبر عنها مبرزاً لها في صورتها الحيّة المتحركة، وتلك طريقة القرآن الكريم(6).

ومن المنظور النفسي، فإنّ للتصوير فوائد منها اجتذاب المتلقي، وجعله يعيش حالة وعي عقلي وعاطفي يدرك بها عظمة الله تعالى، وقدرته الباهرة، وطريقة القرآن هذه في تصوير المعاني الذهنية، والحالات النفسية، وإبرازها في صور حسيّة تهدف إلى إحداث نوع من التفاعل النفسي بينها وبين المتلقي.

وإذا ما رُمنا التحدث عن الأبعاد اللغوية للحركة التصويرية، فإنّ للغة قدرة تعبيرية بالصورة والحركة من خلال تصويرية الاسم، وحركية الفعل، والتشكيل الصوتي يجسّد نوعية الحركة، ويصور المشهد بالأصوات الداخلة في بنية تشكيل الكلمة أحياناً، ولاسيّما من حيث التلويّنات الصوتية المعبرة عن المعاني، أو المفسّرة أو المصوّرة لها، فإنّ ماهية جرس الأصوات (الصوامت خاصة) ودرجة تردده لا تكفي وحدها لهذه المناسبة (أي تصوير الحركة)، بل تواكبها الحركات (المصوّتات) ومن ثمّ فإنّ الصيغة الصرفية تؤدي دوراً مهماً(7).

عليه فإنّ الذي يُعزز التصوير الصوتي هي الحركات، والنبرات، ودرجات الصوت وإيقاعه، فلا يمكن توظيف الصوامت، والمصوّتات في كلّ موضع لتصوير الحركة والحدث، بل توظف الصوامت داخل بنية تشكيل الكلمة، وتقوم على رأي ابن جني بعامل الملائمة وتساعد على التصوير، أمّا المصوّتات فهي تقوم بمكاتفة الصوامت في عملية التجسيد(8).

وقد أشار إلى ذلك في كتابه الخصائص فأكد أنّ (مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتَلَبّ عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها...) (9)

نخلص مما تقدّم إلى الإقرار بأنّ التشكيل الصوتي للفظ له ارتباط وثيق مع ظلال المعاني في أنفسها ومع إشعاع المشاعر الوجدانية المنبثقة عن النص، وفن التقاء هذين المنبعين تغني اللغة، وتتكاتف دلالاتها، وتغدو للصوت قيمة تعبيرية إيحائية، وصدى جمالي في النفس(10).

(4) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: 37.

(5) ينظر: المصدر السابق: 37-38.

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب: 855/2.

(7) ينظر: جماليات المفردة القرآنية، ياسوف: 231-232.

(8) ينظر: المصدر السابق: 225.

(9) الخصائص، ابن جني: 157/2.

(10) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، حمدان: 154.

وقد أثبتت الدراسات أن الصوت اللغوي لا يمتلك هذه القدرة أي تصوير الحركة، وتعميق المعنى في ذهن المتلقي مسبقاً، وإنما من خلال موقعه في السياق، وتنضح قيمة الصوت اللغوي كأصغر وحدة داخل بنية تشكيل الكلمة، وأهميته في بناء المعنى بفضل صفته، ومخرجه، وموقعه في السياق أو الكلمة.

لأن الصوت اللغوي لا يكتسب هذه الخاصية الشمولية في إدراك معالم التصوير من مجرد وجوده في المفردة، بل من خلال التوظيف الدقيق للصوت اللغوي في السياق في موضعه المتقن من إيقاع الجملة، وتنغيمها(11).

أما الحركة فهي موضوع لا يتعلق بجانب واحد من جوانب القرآن الكريم، بل هي حاضرة في مختلف جوانبه مثلما أن الحركة نفسها حاضرة في مختلف جوانب الكون... وقد تبين أن الوجود منضبط بحركة فاعلة... ومتفاعلة... متطورة متجددة... متجهة، ويمكن أن توصف عموماً بالصاعدة، أو المتقدمة ولحركة الحياة محرّكها، وأسبابها، وغايتها، فهي منضبطة بقوانين، سواء على المستوى الحسي - المادي (المنظور، والمسموع)، أم المعنوي - الاعتباري (العقلي، النفسي، الروحي)(12).

وإذا ما إرتأينا التحدث عن الحركة الصاعدة، فإن الحركة عموماً، والحركة الصاعدة من خلال ما يصور الفعل اللغوي ترتبط بالزمان، فالحركة هي الانتقال، أو تغير المكان، عليه فإن هناك ترابطاً بين المسافة التي يقطعها الجسم، وبين الزمان الذي يستغرقه، وهو ما يحفزنا إلى اتخاذ الزمان متغيراً يتمتع باستقلالية خاصة(13).

فإن الحركة عموماً سواء أكانت صاعدة أم هابطة (تخضع لمنظومة من القوانين الصارمة، والمُحكّمة والمطرّدة، وإلا كانت الحركة عشوائية تتصادم في فوضى.... وتتبدد مع الطاقة.... وتنتهي بالفساد والدمار)(14).

وتتأى جمالية الحركة الصاعدة نحو الأعلى عموماً في أنها توحى بالروحانية، أو بالسلطة.... والقوة.... أو بالعزة.... والأنفة والشموخ.... والطموح، ومن جهة أخرى قد توحى بالتكبر، والتجبر(15).

إذ تكشف الحركة عن معانٍ إضافية، وتعكس صوراً ومشاهد في غاية الجمال، فالمراد به التعبير عن المعنى بحركة تكشف خبايا صاحبها بحركات كاشفة لأحوال النفس الإنسانية من مشاعر، وانفعالات، ومن ثم فإن وجودها في الفن اللفظي يمثل في رأي بعض النقاد المعاصرين أجمل ما في التصوير؛ لذا فإن وصفها أصعب ما فيه، وهو عمل لا ينهض به إلا ذو المواهب الفذة عن طريق الإدراك وليس البصر(16).

وقد يكون للمشهد إطار يؤثر في دلالة الحركة، لاسيما إذا كانت الحركة صاعدة حيث إنَّها قد تبدو شاهقة، وهو ما يُريح الرائي، أو الراصد في النزوع نحو الأعلى، أو يحقق له الرغبة في التسامي، أو العظمة، وفق ذلك فإن تحرك الجزء الداخلي يُصعد نوعية التكوين الفني، باعتباره كلاً ينعكس عليه التغيير عموماً على اعتبار أن الحركة هي بمثابة حقيقة نفسية داخل الشعور، أو هي حقيقة فيزيائية

(11) التصوير الصوتي في سورة الزلزلة، هادي سعدون هنون، بحث منشور على شبكة الإنترنت: 3.

(12) جماليات الحركة التصويرية في القرآن الكريم، حكمت صالح: 14.

(13) المصدر السابق: 28.

(14) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(15) ينظر، جماليات الحركة التصويرية في القرآن الكريم، حكمت صالح: 28.

(16) ينظر، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى: 139 إلى 141.

تحدّث في العالم الخارجي وقد ذكر الدكتور حكمت صالح أنّه (قد يعتمد مجموع العناصر التي يتضمنها مشهد ما في رصد الحركة وتقويمها)(17).

وأهم ما يميز هذا الفعل أنّه يصنف ضمن أفعال الحركة الانتقالية الرأسية والمتجهة إلى الأعلى أي الدّالة على (الحركة، والانتقال، والاتجاه إلى الأعلى)، وحركتها حركة صعودية تعيّر عن القوة، والرفعة، والسلطة، كما تشير إلى الأمل، والتصاعد والنمو والتحرر من الوزن، والمادّة وربّما تُعبر عن الأمل والتفاؤل، وإلى ما يدعو إلى السمو الروحي ومن المعجمات التي حددت معناها معجم لسان العرب حيث جاء فيه (صَعِدَ المكان وفيه صُعُوداً... ارتقى مُشرفاً)(18).

والصاد والعين، والدّال أصلٌ صحيحٌ يدلّ على ارتفاع، ومشقة، من ذلك الصُّعود خلاف الحُدُور، ويُقال: صَعِدَ يَصْعُدُ، الإصعاد مقابلة الحُدُور من مكان أرفع(19). والإنسان حين يصعد سلباً، أو جبلاً، أو طريقاً، فإنّه يبذل جهداً كبيراً، وحركة عالية ليصل إلى ما يُريد، وتكون حركة الإنسان في هذا الفعل من أسفل إلى أعلى، والصعود يكون غالباً بإرادة الإنسان لبلوغ مكان معيّن.

وقد تأتي حركة الفعل رغماً عنه إذا أضفنا همزة (أفعل)، فنقول (أصعدُهُ)(20). وإذا ما أردنا استشراف آفاق حقيقة التصوير الحركي في هذه المادّة نجد أنّها مثلت ركيزة صوتية قوية ك (جذر) أساسي في تصوير الحركة، وتباينها يعتمد على طبيعة الصوت الذي يزداد على بنية تشكيلها الصوتي، أو المقطعي.

فالصاد [S] صوت أسناني لثوي، مهموس، احتكاكي يتسم بالتفخيم، مخرجه بين طرفي اللسان وفوق الثنايا، وعند النطق به يصعد أقصى اللسان، وطرفه نحو الأعلى ويحتاج إلى جهد عضلي إضافي زائد على الجهد الذي تحتاج إليه الأصوات غير المطبقة مثل (التاء، والدّال، والسين، والدّال)(21)، وأوضح سمعياً من السين لأنّ (الأصوات المطبقة أوضح سمعياً من غير المطبقة)(22)، والصاد هي من الأصوات التي تتسم بالقوة، وتوحي بالثقل.

العين [؟] هو صوت حلقي احتكاكي مجهور، مخرجه من الحلق، وهو مخرج صعب للغاية على الناطق به، وهو أقرب الأصوات الاحتكاكية من الانفجارية، ولصوت العين صدى صوتي قوي يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، ونبوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يتصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق، وفي الوقت نفسه يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، وتحدّث ذبذبة في الوترين الصوتيين(23).

وأثبتت الدراسات الحديثة أنّها أوضح الأصوات سمعياً، ويتسم بالتردد العالي يفوق تردد الأصوات الاحتكاكية إذ يصل تردده مع الفتحة إلى (1500-1200HZ) ويوصف بالرنينية.

وهو صوت ذو قيمة تعبيرية واضحة في تصوير الحركات، والأصوات العنيفة(24).

والدّال [D] صوت انفجاري مجهور يتسم بالقصر، فهو النظير المرقق لصوت الصاد، وينطق بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فهو صوت لثوي أمامي مخرجه بين مقدم اللسان وأول الثنايا، ويتسم بارتعاد الوترين الصوتيين من جهة، وتوحي بعملية الصّد عن الطريق من حبس النفس في

(17) جماليات الحركة التصويرية في القرآن الكريم، حكمت صالح: 29.

(18) لسان العرب، ابن منظور: 357/3.

(19) مقاييس اللغة، ابن فارس: 485.

(20) أفعال الحركة الانتقالية الكلية للإنسان في القرآن الكريم، دراسة دلالية إحصائية، عماد عبدالرحمن خليل شليبي : 81.

(21) ينظر: السمات الصوتية المميزة للانفعالات النفسية في القرآن الكريم، عبدالستار صالح البناء: 146.

(22) الأصوات اللغوية، سمير شريف إستيتية: 174.

(23) المصدر السابق : 131.

(24) ينظر: الخصائص النطقية، والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، محمد فتح الله الصغير : 43.

أثناء التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً من جهة ثانية، ومن ثم الانفصال المفاجيء وإطلاق الهواء وخروجه في صورة انفجار، ودوي قويين (25).

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية للتصوير الحركي في القرآن الكريم مادة (صَعَدَ) الدالة على الحركة.
يزخر القرآن الكريم بأمثلة وافرة لظاهرة التصوير الحركي، أو ما يمكن أن يُسمى الرسم بالكلمات والتعبير بالأصوات والحركات، نستعرض فيما يأتي الآيات التي وردت فيها مادة (صَعَدَ) الدالة على الحركة ونسعى إلى استجلاء مظاهر حضورها في الآيات التي وردت فيها اللفظة معتمدين في ذلك على دلالة الحركة الصاعدة والهابطة فما ورد بدلالة الصعود، أو العلو، أو (الحركة الصاعدة) قوله تعالى في "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ (١٠) "فاطر: (10) تحليل بنية التشكيل المقطعي للآية:

ء	ل	هـ	ي	ع	د	ك	ل	م	ط	ي
ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
م	ص	م	ص	م	ص	م	ص	م	ص	م

ب	و	ع	م	ل	ص	ل	ح	ي	ف	ع	هـ
ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
م	ص	م	ص	م	ص	م	ص	م	ص	م	ص

تصور بنية التشكيل الصوتي لمادة (يَصْعَدُ) في الآية الكريمة الحركة الصاعدة المستمرة ومجيئها على صيغة المضارع أضفت على هذه الحركة الصاعدة الاستمرارية ومزيدياً من الديمومة فـ (الكلمة الطيبة تنمو وتمتد، وتثمر إذا اقترنت بالعمل الصالح) (26).

فإن الكلمة الطيبة التي تمثل طاعة الله عز وجل قولاً وعملاً يَصْعَدُ إلى الله عز وجل في علاه، ومن ثم يُكرم صاحبه ويمنحه العزة، والاستعلاء، والعزة حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس، حقيقة تستقر في القلب فتستعلي بها كل أسباب الدلة، والانحناء لغير الله، والوصول إلى هذه الحقيقة ليس بأمر هين، ففي الجانب الصوتي نستشف هذه الحقيقة من مادة (يَصْعَدُ) وتشكيلها الصوتي (ي ص ع / د ـ).

فصوت العين [؟] من أوضح الأصوات سمعياً وتنسم بالتردد العالي يفوق تردد الأصوات الاحتكاكية (27)، وهو ذات قيمة تعبيرية واضحة في تصوير الحركات (28).

(25) ينظر: المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم قدوري: 155.

(26) في ظلال القرآن، سيد قطب: 2930/22.

عليه فإنَّ صوت /عـ/ بترددٍ العالي مع المصوِّت القصير الفتحة [A] التي توحى بالخفة والاتساع يمثل نقلة في الصعود إلى الأعلى تساوقاً مع الصاد في (يـ ص / عـ) المتسبِّمة بالتفخيم. وقد ذكر عباس حسن بهذا الصدد أنَّ (حرف العين في تعامله مع الحروف إمَّا أن يشدَّها إلى تحقيق خصائصه الذاتية من الفعالية، والقوة، والصفاء، والضخامة والسمو، وإمَّا أن ينساق معها للتعبير عن مختلف خصائصها الحسيَّة، والشعورية)(29)، أي النزوع نحو الأعلى وهو صعود مرغوب فيه من المنظور الشرعي فالرافع: الكلم، والمرفوع: العمل وقيل الرافع (الله) جل جلاله، والمرفوع (العمل) أي العمل الصالح يرفعه الله جلَّ جلاله وفيه إشارة (إلى أنَّ العمل الصالح يتوقف على الرفع، والكلم الطيب يصعدُ بنفسه)(30).

عليه فإنَّ استخدام الفعل (يَصْعَدُ)، ولما له من حركة تصاعديَّة ينطوي بعض الدلالات فيه لتشجيع وتحفيز مخيلة المخاطب حتى تبدو هذه الصورة مشهداً حياً، وناعماً مع مساعدة الحركة التي تكمن فيها لأنَّه يحمل في نفسه الحركة، ويلقيها إلى الصورة، ويجعلها متحركة غير ساكنة، وهذا ما نلاحظه في تكرار المصوِّت القصير الضمة [U] في أواخر الكلمات، أو المقاطع في (دُ / مُ / بُ / لُ / حُ / عُ / هُ)، وهو مصوِّت خلفي مرتفع مدور(31)، فهو من أقصر المصوتات، وينتج عن طريق رفع مؤخر اللسان في إتجاه منطقة الطبق اللين مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع مع استدارة الشفتين، وامتدادها إلى الأمام(32). وهذه الحركة الأفقية في نطق الضمة [U] تحاكي حركة الصعود إلى الأعلى، وإذا ما علمنا أنَّ الفرق بين المصوِّت الطويل [U:]، والقصير [U] هو فرق في المدة (DURATION) والكمية فإنَّ توافر خصيصة القصر في الضمة [U] وهيمنتها توحى بحدوث هذا الصعود بسرعة للكلم الطيب دون أي ثقل أو تكلف بل بأريحية وتلقائية، أمَّا تكرار اللام سبع مرَّات في (لـ ي / دـ ل / لـ م / لـ د / لـ ل / لـ ل / لـ ل) الذي له سمة الوضوح السمعي، والاستمرارية، والالتصاق لا يخلو من هدي السياق إلى المغزى الإشاري، وإنَّما جاء ليُساند هذه الصيغة الدالة على الحركة الصاعدة بدلالاتها على الحركة بسهولة وخفة(33).

عليه تتناغم الصورة الصوتية مع الصورة الحركية لترسم لنا إيقاعاً يجمع بين السرعة والخفة في الحركة الصاعدة مع استمراريته.

أمَّا في سورة (آل عمران) استعمل الخطاب القرآني للدلالة على الحركة الصاعدة، والهابطة لفظ (تُصْعِدُونَ) في قوله تعالى "إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تُلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْلًا تَحَرُّوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾" آل عمران: (١٥٣)

(27) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، عبدالقادر مرعي الخليل: 138 وما بعدها.

(28) ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بني دومي: 241.

(29) خصائص الحروف العربية، ومعانيها: 212.

(30) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: 79/3.

(31) علم الأصوات العام، بسام بركة: 131.

(32) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: 225، والأصوات اللغوية، إستيتية: 213.

(33) ينظر: الصوتيات، والفونولوجيا، مصطفى حركات: 62، والمدخل إلى علم اللغة، وعله وقوانينه، رمضان عبدالنواب: 47-48.

تحليل بنية التشكيل المقطعي للآية:

ء	ذ	ء	ع	د	ن	و	ل	ت	و	ن	ع	ل
ص	ص	ص	ص	ص م	ص	ص	ص	ص م	ص	ص	ص	ص
ص	ص	ص	ص	ص م	ص	ص	ص	ص م	ص	ص	ص	ص

ء	ح	د	و	ر	س	ن	ي	ع	ك	ف	ء
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص

ر	ك	ف	ء	ث	ب	ك	غ	م	ن	ب	غ
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص

م	ن	ل	ك	ت	ز	ن	ع	ل	م
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص

ف	ت	ك	و	ل	م	ء	ل	و	ل
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص

هـ	خ	ب	ر	ب	م	ت	ل
هـ	خ	ب	ر	ب	م	ت	ل
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص

يكشف النسيج الصوتي لهذه الآية الكريمة حركة إيقاعية بطيئة، وثقيلة، وقد تضافرت كلّ البنى النصية على تقديم مشهد متكامل لمسرح المعركة، ولتداول النصر، والهزيمة مشهداً لا يترك حركة في الميدان ولا خاطرة في النفوس... وكأنّ العبارات شريط مصور يُمرُّ بالبصر، ويحمل في كلّ حركة صوراً جديدة نابضة، وبخاصة حين يصور حركة الإصعاد في الجبل، والهروب في دهش ودُعر، ويصحب ذلك كلّ حركة النفوس وما يدور فيها من خوالج، وخواطر، وانفعالات(34)، ف (إنّ الحركة تتجاوز العبيثية حينما تكون ذات بُعد غائي ينم عن الحالات الشعورية لدى الإنسان)(35). ف (تُصعدون) يرسم لنا صورة حركتهم الحسيّة، وحركتهم النفسية، فهو يوم طويل مديد وكلّ موقف من مواقفه هائل مشهود، مليء بالاضطراب، والدُعر، والهزيمة. ومما يُناسب هذا الجو أن يكون الإيقاع ثقيلاً، وبطيئاً يطول فيه المسافات، فعلى المستوى الصوتي تجلّى ثقل الحركة الحسيّة المنظورة، واضطراب حال المقاتلين في الهرب في الصاد [S] المتسببة بالتفخيم لتوحي بثقل الموقف وصعوبته، وتأثيره العميق في نفوس المقاتلين نتيجة إرتدادهم، وهروبهم إلى الجبل، وقد نستشف بعض من ملامح هذه الحركات المتباينة أي (الصاعدة / الهابطة) في نطق اللفظة نفسها.

إذ إنّ توقف الهواء عند نطق التاء [T] وهو صوت مهموس انفجاري يتسم بالقصر ويتراوح مداه (60-40 م/ث) وهي من الأصوات ذوات الترددات المنخفضة، ويبلغ ترددها مع الضمة (1500-2500 HZ)(36)، ويقتضي نطقها الانسداد التام في فجوة الفم، ومن التغييرات الفونولوجية التي طرأت عليها في هذه الآية هي اكتسابها سمتى التفخيم، والتدوير. فالتاء [T] المرققة غدت مفخمة لوقوع (الصاد) المطبقة (المفخمة) بعدها، ثمّ إنّ مجيء الضمة في (ت ـ ص) اكتسبتها سمة التدوير، وهما يمثلان الحركة الصاعدة مع الصاد، فالضمة [U] مصوّت خلفي مرتفع مدور(37)، ويتسم بالثقل، أما هبوط اللسان في نطق (العين)، والكسرة [I] في (ع ـ) يمثلان الحركة الهابطة، ومن ثمّ إرتفاعه مرّة أخرى في نطق الدال في (د ـ) وثباتها بثبات الفم في نطق صوت النون [N] فإنّ هذه الحركات تتناسج والحركة الصاعدة والهابطة في الصعود إلى الجبل (فيحتمل أن يكون صعودهم في الجبل بعد إصعادهم في الوادي)(38)، إذ إنّ الإصعاد هو السير في مستوى الأرض وبتون الأودية، والشعاب، والصعود هو الإرتفاع على الجبال والسُطوح والستاليم والدَّرَج(39).

(34) في ظلال القرآن، سيد قطب: 4/ 493

(35) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز: 60

(36) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، وفونولوجيا العربية، العاني: 72.

(37) علم الأصوات العام، بركة: 131.

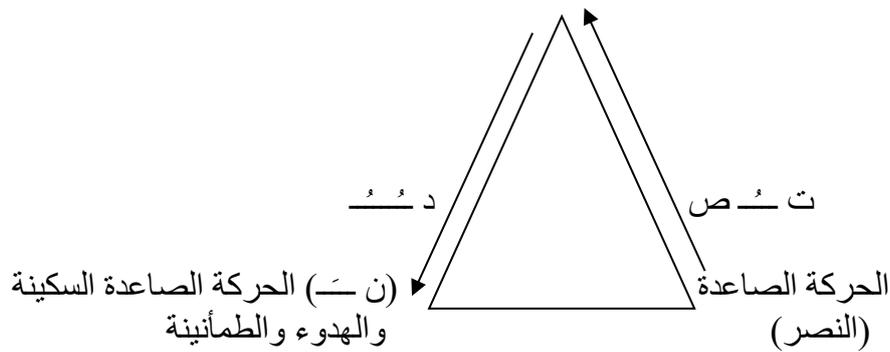
(38) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 266/5.

(39) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

فإذا ما رُمنا التحدث عن الثنائيات التقابلية في إطار هذه المفردة أي (تُصْعِدُونَ) نجد أنَّها تُقابل بين ثنائية (الجزاء / الثواب) وهو تقابل ضمني بين (الحركة الهابطة / الحركة الصاعدة) فالجزاء يمثل الحركة الهابطة أي حالة الذعر، والاضطراب، والغم التي مرَّ بها المسلمون، والثواب يمثل الحركة الصاعدة، ويمثل حالة السكينة، والهدوء التي وصل إليها المسلمون بعد سماعهم أنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما زال على قيد الحياة، كما هو موضح في المخطط رقم (1).

الضمّة ←	توحي بالثقل والضيق	←	وهي كُلُّها تمثل الحركة الصاعدة والحركة الهابطة.
الصاد ←	الصلابة والشدة	←	
العين ←	التوتر والشدة	←	
النون ←	الصمت والتوقف عن الحركة	←	

(ع —) الحركة الهابطة (صعود الجبل) بعد الهزيمة



مخطط رقم (1)

وعلى المستوى المقطعي تتأزر الضمات المتتالية في الآية الكريمة وفي لفظتي (تُصْعِدُونَ) و(تَلُونَ) مع المقاطع المغلقة الطويلة من نوع (ص م ص) في (تُ ص / كُ م / ءُ خ / رُ ن) لتشير إلى اللحظات النفسية العصبية التي مرَّ بها المسلمون حين تحولت آمال النصر إلى الهزيمة، وتزعزعت النفوس وازداد كربهم بوصول خبر مقتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومما يعضد هذه الدلالة توالي الميمات وهي مدغمة في (غَمًّا بَغِم) (غَم م / م ب / غ م / م م — ن).

أمَّا إنتهاء الفعلين بصوت النون المتنيمة بالغنة يُحاكي حالة السكون التي يصل إليها المسلمون بعدما علموا أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما زال على قيد الحياة، ويمثل ذلك ثواباً لهم فيشملهم نعاس لطيف يسكب في قلوبهم الطمأنينة من بعد الارهاق وشدة الغم الذي مروا به.

وفي قوله تعالى "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)" (الأنعام: 125) تحليل بنية التشكيل المقطعي للآية:

هـ ا	يـ ا	د ا	يـ ا هـ	ء ا ن	هـ ا	س ا	د ا س	ر ا	يـ ا	م ا ن	نفا ا
ص م	ص م	ص م	ص م ص	ص م ص	ص م	ص م م	ص م ص	ص م	ص م	ص م ص	ص م

ر ا د	يـ ا ر	م ا ن	و ا ر	س ا م	ء ا س	ل ا ن	هـ ا ر	ر ا ر	ط ا د	ر ا ح	يـ ا ش
ص م ص	ص م	ص م ص	ص م	ص م ص م	ص م ص	ص م ص	ص م	ص م	ص م ص	ص م ص	ص م ص

ظ ا يـ ا	هـ ا	ر ا	ط ا د	ع ا ن	يـ ا ح	هـ ا	س ا	ظ ا	يـ ا	ء ن
ص م ص	ص م	ص م	ص م ص	ص م ص	ص م ص	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م ص

ع ا	يـ ا	م ا	ن ا	ء ا ن	ك ا	هـ ا ن	ر ا	ح ا	نفا ا ن	يـ ا
ص م ص	ص م ص	ص م م	ص م	ص م ص	ص م	ص م ص	ص م	ص م	ص م ص	ص م

ع ا	يـ ا	ك ا	ل ا	ذ ا	ك ا	م ا هـ	ع ا	نفا ا ن	د ا	ع ا
ص م	ص م ص	ص م	ص م	ص م م	ص م	ص م ص	ص م	ص م ص	ص م	ص م

ل	ن	ذ	ل	ل	ع	س	ر	ه	ل	ل
ل	ن	ذ	ل	ل	ع	س	ر	ه	ل	ل
ص م	ص م	ص م م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م م	ص م م

ي	ن	م	ن
ع	ن	م	ن
ص م	ص م	ص م	ص م

لما كان الضيق النفسي سابقة انفعال للضال، فإن سياق الآية الكريمة فيه صدى للقلق، والاضطراب النفسي، والاحتضار الذي يُعاني منه الضال؛ لذا يخرج النفس في صدره مشحوناً بأكبر طاقة انفعال نفسي فامتص هذا الانفعال مادة (يَصْعَدُ) وحركتها التصويرية الصاعدة على مراحل متتالية، عليه فإن هذه الصورة وظفت لصورة أخرى، فالشخص الضال يحيا توترات، وتمزقات داخلية نابعة من طبيعة الخلل الذي يُصيب جهازه الفكري نتيجة انغلاق فطرته عن الهداية(40)، فهو مغلق مطموس يجد العسر، والمشقة في قبوله. وهي حالة نفسية تجسم في حالة حسية (من ضيق النفس، وكربة الصدر والرهق المضني)(41)، فتجلى كُله هذه الانفعالات النفسية في بنية التشكيل الصوتي لـ (يَصْعَدُ) وفي إيقاعه الذي يحس فيه بالعسر والقبض والجهد.

ومن الناحية الفسيولوجية فإن الإحساس بالضيق، والعسر، والانقباض ناجم عن احتباس النفس، أو عن تقلصات في مجرى النفس، وهذه التقلصات يحدثها تضعيف صوتي (الصاد) و(العين)، فتوفر خصيصة التضعيف مرتين في (يَصْعَدُ) (ي - ص / ص - ع / ع - د / د - ع) و لتواليهما فاعلية حركية تصويرية بالغة الأهمية، حيث جعلت صبغة الفعل (الدالة على المبالغة) تدل على تقطيع الحدث وتعاقبه، إذ تدل صبغة (يتفعل) على معنى الشيء بعد شيء وذلك أثقل على فاعله(42). فالصاد [S] صوت أسناني – لثوي مفخم(43)، وأهم ما يلاحظ في نطقه انطباق اللسان إلى الحنك الأعلى، فهو صوت قوي، وأكثر تكلفاً على اللسان والعين [؟] صوت حلقي قوي مخرجه وسط الحلق، ويجري الصوت معه بعسر(44)، وهي من الأصوات التي يتراجع جذر اللسان بارتفاع قليل عند إصدارها ليضيق الممر الواقع بين جدران الحلق(45).

(40) ينظر: التفسير البنائي، البستاني: 482.

(41) في ظلال القرآن، سيد قطب: 1203/8.

(42) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 25/9، والتحرير والتنوير، ابن عاشور: 45/7.

(43) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، الجبوري: 52.

(44) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، القيسي: 99.

(45) السمات الصوتية المميزة للانفعالات النفسية في القرآن الكريم، البناء: 132.

عليه اتضح بصورة الأشعة أنّ في نطق العين تضيقاً كبيراً للحلق(46)، والذي زاد نفسية الضالّ توتراً مجيء العين مضعفة مع الصاد إذ يشير جسبرسن (JESPERSON) إلى أنّ الزيادة في المبني تدل على زيادة المعنى فقال (التضعيف تزيد من دلالة المعنى)(47). وأشار إلى ذلك أيضاً ابن جني (ت 392 هـ) في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) فقال: (أنهم جعلوا تكرار العين في المثال دليلاً على تكرار الفعل)(48)، أي تكرار الشهيق وانحباس النفس، عليه فإنّ التضعيف يجعل الحركة متقطعة نتيجة تكرار عملية الشهيق مع انحباس النفس أي أنّ الصعود يكون على مراحل متتالية، فإنّ كلّ عملية شهيق تحلق بالضالّ إلى مسافة يحسّ بها، ثم يتوقف عن الصعود بانحباس النفس، ثم يحاول أن يشهق ثانية فيتواصل التحليق في مرحلته الثانية، وهكذا أمّا على المستوى الفونولوجي نلاحظ أنّ التاء [T] اكتسبت سمة التفخيم في (يَنْصَعِدُ) لتأثرها بالصاد المطبقة، ومن ثمّ أدغمت فيها، فهذا التماثل بما ينطوي عليه من إدخال صوت في صوت وإخفائه فيه(49) ودمجها تُوحي أنّ الضالّ (المنحرف) يجتهد لإخفاء ضلاله (انغلاقه) بأقصى سرعة ممكنة، أمّا التضعيف في العين [؟] يُعبر عن طول المدّة الزمنية الذي يقضيه الضالّ في محاولة التخلص من مشاعر الضيق، والخرج، (إذ في الحرج من معنى الشدّة والضيّق ما ليس في الضيق)(50). وعلى المستوى المقطعي، وقد أثبتت التجارب أن المقطع له ارتباط وثيق بالحالة النفسية والمضامين والأفكار(51).

عليه فإنّ توافر مقطعين من نوع (ص م ص) الطويل المغلق في بنية التشكيل المقطعي لهذه الكلمة تسجل لنا حدّة التأزم، والضيّق النفسي الذي يزرع تحت وطأته الضالّ، ويُعبر عن ضغوطاته النفسية المتوالية إثر إصطدام النية مع القول، والعمل وتوحي بانغلاق نفسيته عن الهداية كون هذا النوع من المقطع ضغوطاته صدرية قوية يصطدم على أثرها الهواء، والمصوّت بالصامت(52) (الذي يتم إنتاجه بإغلاق، أو تضيق مجرى الهواء)(53).

فتراصف إيقاع الصاد الغليظة في (ي ص / ص ع / ع / د سُ) والمدوية مع طنينه القوي المجلل مع صوت العين، إنّما جاء ليسانداً هذه المقاطع للدلالة على شدّة الضيق. عليه تؤكد التناظر الكمي لهذه التكتلات الصوتية أنّ المقاطع المغلقة، والأصوات الثقيلة إنّما تلائم الأمور الصعبة، والثقيلة على النفس.

فعلى وفق ذلك تناغمت الصورة الصوتية مع الصورة البصرية لترسم لنا الحركة الصاعدة المشحونة بضيق النفس من جهة، وضيق الصدر من جهة أخرى.

أمّا في قوله تعالى "نَفَنَنْتَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا" (١٧) الجن: (17) تحليل بنية التشكيل المقطعي للآية:

(46) مناهج البحث في اللغة، حسان: 130.

(47) دلالة الألفاظ، أنيس: 70.

(48) الخصائص، ابن جني: 155/2.

(49) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 379، والحروف العربية، وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيويوه، مكي درار: 187.

(50) التحرير والتنوير، ابن عاشور: 45/7.

(51) منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، قاسم البريسم: 48-49.

(52) تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، فخرية غريب: 111.

(53) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 122.

و	م	ي	ر	ع	ذ	ر	ب	ه
ن	ع	ض	ن	ن	ك	ب	ب	ـ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

ي	ل	ه	ع	ذ	ب	ص	ع	د
س	ك	ـ	ـ	ـ	ن	ـ	ـ	ـ
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

نلاحظ أنَّ الخواص الصوتية الكامنة في لفظة (صَعَدَا) تصور بدقة متناهية صورة حركية هابطة توحى بالموت (فمن يعرض عن طاقة الله وعبادته، يدخله ربُّه عذاباً شديداً شاقاً لا راحة فيه)(54). وقد قال عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنَّ (صَعَدَاً) هو صخرة ملساء في جهنم يكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها في أربعين سنة، فإذا إنتهى إلى أعلاها حُدرَ إلى جهنم أي أسفلها ثم يكلف الصعود مرّة أخرى(55). وبما أنَّ صوت الصاد [S] صوت ثقيل، ومن أكثر الأصوات تكلفاً على اللسان لما فيها من الإطباق والاستعلاء، فإنَّ هاتين الخصيصيتين في النطق تصاقبان مشاق العذاب، والعين (ع ـ) بترده العالي يُمثل نقلة في الصعود إلى الأعلى تساوقاً مع (ص ـ)، والدال في (د ـ) صوت لثوي أمامي مجهور، وصفة الانفتاح في صوت الدال(56)، توحى بالحركة الأفقية الممتدة إلى أبعد مسافة، ليصور لنا عذاباً شاقاً لا راحة فيه فيعلوا المعذب ويغلبه فلا يطيقه، ومجيء (صَعَدَ) بصيغة المصدر توحى بثبات هذا العذاب، والمبالغة فيه حتى يصل إلى منتهاه. إذ إنَّ التعبير بالمصدر يمنح الأسلوب لونا من عدم الحركة، ولعل ذلك عائدٌ إلى ارتباط الاسم بالحدث فقط، وعدم تأثيره بالزمن فلا ينتقل من مكان إلى مكان(57).

ويظهر صعود هذا العذاب بوضوح بتوالي الفتحة [A] القصيرة، وإنهاء الآية بالمصوت الطويل [A:] لتوحى بأنَّ هذا العذاب يصل إلى أبعد مسافة (ص ـ / ع ـ / مد ـ). يتراءى لنا مما تقدم أنَّ تصوير العذاب بالمصدر يكون وقعة أشدَّ من الفعل، فالعذاب الثابت مع شدته يؤدي إلى إتهيار الكافر، ومن ثمَّ إلى الموت. أمَّا على المستوى المقطعي نلاحظ أنَّ اللفظة تبدأ بالمقطع القصير (ص م) لتدل على سرعة العذاب وقذف هؤلاء الضالين إلى نار جهنم، ومن ثمَّ إنتهاءها بالمقطع الطويل المفتوح (د ـ) (ص م م) لتدل على استمرار هذا العذاب وامتداده. وفي قوله تعالى "كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦٦). سَأَزْهِقُهُ صَعُودًا (١٧٠) المدثر ١٦ — ١٧ تحليل بنية التشكيل المقطعي للآية:

(54) صفة التفسير، للصابوني: 460/3.

(55) ينظر: التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، الرّازي: 162/30.

(56) المدخل إلى علم الأصوات، قدوري: 115.

(57) ينظر: تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح: 60.

س	ع	ص	ه	ق	ه	ع	د
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م
ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م	ص م

ترسم لنا هذه الآية البُعد النفسي، والمفارقة التي إنطوى عليها سلوك الشخص المنحرف، أو الكافر والمراد به (الوليد بن المغيرة)؛ لأنه كذب القرآن الكريم، وأراد أن يصدّ الناس عن الإيمان وقد نحا السياق القرآني منحى تدريجياً في وصف هذا الإنسان، وما آتاه الله من نعمه وآلائه فعندما يتجه النص إلى التعبير بـ (الصورة) الحسيّة بدلاً من التعبير بـ (المباشرة) إنّما يعني أنّ هناك أهمية، أو أنّ هناك جزاءً له خطورته التي تختلف عن العقاب المادي (58)؛ لذا يعقب الردع بالوعيد الذي يبدل اليسر عسراً والتهديد مشقة (59) في قوله تعالى (سأرهقه صعُوداً) فالصعود، والإرهاق قد يُشعان بدلالة نفسية، فإنّ الشدائد النفسية سيُرهق بها الشخص المنحرف، ويتصاعد بها إلى ما لا نهاية من الإرهاق (60).

فإذا ما حاولنا استجلاء هذه الصورة في التكتلات الصوتية الداخلة في بنية تشكيل الآية فهي تُشير إلى حركة صاعدة قوية، ففي الآية يتمظهر إيقاع الشدّة نتيجة لـ (الحركة الصاعدة القوية) ومما توحى بهذه الحركة الصاعدة حركة اللسان لنطق الأصوات الداخلة في بنية تشكيلها الصوتي، وترافق الضمة [U] معها تصور لنا مشهد صعود هذا الشخص للجبل، ووقوعه في الهاوية فتساق صوت الهزمة [؟] مضموماً مع الرّاء الدّالة على الحركة والتكرار.

وهو صوت انفجاري حنجري يتسم بالانسداد التام في فجوة الفم، فهو صوت ثقيل ينتج بانغلاق الوترين الصوتيين بصورة محكمة (61)، ويستوجب نطقه جهداً عضلياً شديداً، على وفق ذلك فهي تتلائم مع الإرهاق الشديد، والمشقة التي ترافق صعود الجبل، ونطق الضمة معها في (ع / ه / ر) المتسمة بالثقل، والترددات الواطئة (LAW FREQUENCY) إذ تبلغ (240-320 ذ/ث) فتكرار الضمة [A] في (ع / ه / ر / ق / ه / ع / ر) إنّما جاء ليسانداً هذه الأصوات الدّالة على الحركة والاضطراب بدلالاتها على الحركة الصاعدة لكشف واقعة الصعود، والاضطراب التي أحدث بها (سوقاً للحركة على سمت المعنى المقصود، والغرض المراد) (62)، أي تناغمت الصورة الصوتية مع الصورة البصرية ليرسم إيقاع الآية، وهو إيقاع شديد مليء بالعذاب الحسي والنفسي، والفشل في الصعود.

إذ إنّ اجتماع العذاب الحسي، والعذاب النفسي أشدّ إيلاً على الإنسان، وأكثر إهانةً له، فالتعبير بـ (سأرهقه) هنا لا يقصد به الإرهاق الذي يتعرض له الإنسان في الحياة الدُّنيا بل يقصد به الإرهاق الذي يؤدي إلى الانهيار، وتكرار الهاء [H] مرتين في الآية الكريمة (ه / ه) مع تغير حركة اللسان معها توحى باضطراب نفسية الكافر، وتذبذبه، فالهاء [H] المهموسة، الاحتكاكية غدت مجهورة، وشديدة أكوستيكياً لوقوعها بين الأصوات المجهورة ومع المصوّتين [I] و[U] فشدّة

(58) التفسير البنائي للقرآن الكريم، البُستاني: 182/5.

(59) في ظلال القرآن، سيد قطب: 3757/29.

(60) التفسير البنائي للقرآن الكريم، البُستاني: 182/5.

(61) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، وفونولوجيا العربية، العاني: 75.

(62) الخصائص، ابن جني: 162/2.

الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة من الناحية الأكوستيكية(63)، ويوصف صوت الهاء بأنه صوت حنجري يشترك مع الهمزة في المخرج(64)، وهو مخرج صعب، ولإبراز صوت الهاء ينبغي على اللفظ به الضغط على مخرجه، وهو الحنجرة، وفي ذلك من المشقة ما لا تخفى(65).

وهذا السلوك الصوتي الشاق يصاقب مشقة صعود الجبل، وتكرار الضمة [U] في (ع / ر / ق / ه / ع / ع / ع / ع) إنما جاءت لتُساند هذه الأصوات الدالة على الحركة والاضطراب بدلائنها على الحركة الصاعدة.

العين [؟] من أوضح الأصوات سمعياً يتسم بالتردد العالي يفوق تردد الأصوات الاحتكاكية(66)، فصوت (ع / ع / ع) بتردده العالي يمثل الحركة الصاعدة إلى الأعلى تساوفاً مع الصاد، وهو صوت مطبق مفخم يوميء شدة إطباقه، وصعوبة النطق به مع صوت العين بقساوة قلب المنافق وصلابتها، وانغلاق مجرى الهواء في نطقهما يُصاقب انغلاق قلب المنافق عن قول الحق.

وصوت الدال الممتدة [د -] مع المصوت الطويل [A:] توحى بطول المدّة الزمنية الذي يقضيه هذا الشقي العنيد من عذاب صعب شاقٍ لا يطاق فتضعف عنه قوته كما يضعف قوة من يصعد في الجبل(67).

والقاف في (ق -) وهو صوت انفجاري مفخم خلفي توحى بالمفاجأة تساوفاً مع دلالة (السين) الدالة على المفاجأة، يتميز صوت القاف بقوة الجرس، وذلك بسبب انفجار صوته عند التلطف، فشدّة انفجاره، ودويّه هنا يتلائم مع شدّة إرهاق المنحرف، وانهياره نتيجة الجهد الكبير الذي يبذله في الصعود، إذ تمثل (القاف) الحركة الصاعدة تساوفاً مع المصوت الخلفي المدور الضمة [U] كما توحى انفجارها بانقباض نفسية المتلقي وتوتره.

نستشف مما تقدم ذكره أنّ الصورة الصوتية تتناغم مع الصورة الحركية الصاعدة للآية الكريمة.

نتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الشكر على آلائه ونعمائه الكثار بعد جولة تقصّ وبحث شيقة عن التصوير الحركي في الخطاب القرآني (للبنى الصوتية) الدالة على الحركة في مادة (صعد) وفق المنظور اللساني ومعطياته توصلت الدراسة إلى نتائج متعددة، أهمها:

- تبيّن للبحث أنّ الأفعال الدالة على الحركة، ولاسيما في مادة (صعد) الدالة على الحركة الانتقالية الرأسية والمتجهة إلى الأعلى يكشف عن معانٍ غائبة مع الدلالات المغايرة والذي يعزز هذه الدلالات صيغها الصرفية المختلفة

- توصل البحث إلى حقيقة مفادها أنّ مادة (صعد) كمؤشر فعلي للحركة مثلت ركيزة صوتية قوية ك(جذر) أساسي في تصوير الحركة، وتباينها يعتمد على طبيعة الصوت الذي يزداد على بنية تشكيلها الصوتي، أو المقطعي .

- ظهر للبحث من خلال تحليل بنية التشكيل الصوتي لمادة (يصعد) في قوله تعالى "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ (١٠٠) سورة فاطر، و مجيئها على صيغة المضارع، مع توالي المصوت القصير الضمة في أواخر الكلمات، أو المقاطع في (د / م / ب / ل / ح / ح

(63) الأصوات اللغوية، إستيتية: 104.

(64) المدخل إلى علم الأصوات العربية، غانم قدوري الحمد: 95.

(65) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، عبدالقادر مرعي الخليل: 138 وما بعدها.

(66) صفوة التفاسير، الصابوني: 476/3.

(67) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عباس حسن: 144.

- في ظلال القرآن، ط15، دار الشروق، بيروت- لبنان، (1988).
- صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب الشعري، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا (2010).
- صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة- مصر، (1998).
- عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (1998).
- عبدالستار صالح البناء، السمات الصوتية المميزة للانفعالات النفسية في القرآن الكريم، مطبعة جامعة أربيل، العراق، (2008).
- عبدالقادر عبدالجليل، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، (2010).
- عبدالقادر مرعي الخليل، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ط1، المكتبة الوطنية، عمان، (2002).
- عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (2006).
- عبدالله سليمان هنداوي، البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة، والحركة الجسمية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، (1995).
- عماد عبدالرحمن خليل شلبي، أفعال الحركة الانتقالية الكلية للإنسان في القرآن الكريم، دراسة دلالية إحصائية جامعة النجاح، فلسطين، (2010).
- غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية، منشورات المجمع العلمي، بغداد- العراق (2002).
- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، (1952).
- فخرية غريب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (2011).
- منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، الأفق والنظرية وواقعية التطبيق، قاسم البريسم، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان، (2000).
- كمال محمد بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (2000).
- كورديا أحمد حسن، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (2013).
- محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1999).
- محمد الرازي فخرالدين ابن العلامة ضياءالدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (1981).
- محد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ط1، مؤسسة التاريخ، بيروت- لبنان، (2000)، (32 أجزاء).
- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، (1981).
- محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية، والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (2008).
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، واستراتيجية التناص، ط1، دار البيضاء، المغرب (1985).
- محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (1993).
- محمد يحيى سالم الجبوري، مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (2006).

محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم، ط1، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، إيران (1424ق).

مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ط1، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، (1998).
مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ط1، إتحاد كتاب العرب، سوريا، (2007).

مكي ابن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ط1، مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، (2005).

البحوث المنشورة على شبكة الإنترنت:

هادي سعدون هنون، التصوير الصوتي في سورة الزلزلة، (2010).

[HTTP://WWW.UOKUFA.EDU.IQ/JOURNALS/INDEXPHP/ARTICLE/VIEW/1505](http://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/article/view/1505)